

«من أسمته فيروز «شيخ الملحنين»

الكاتب



حسن مدن

ما أكثر أغاني السيدة فiroز الشهيرة التي أحببناها ونحبّها التي اعتقادنا أنها من ألحان الأخوين رحباي، كون فiroز هي الضلع الثالث في المثلث الرحباي، شعراً ولحناً وغناءً، وكوننا اعتدنا أن الرحبايين، عاصي ومنصور، هما من لحناً ما كتبنا من كلمات لتغنيها فiroز، ولكن فيلماً وثائقياً قصيراً بُثّ على قناة «الجزيرة الوثائقية» عن الموسيقي فيلمون وهبي سيفاجئ الكثريين بأن أغانيات فiroزية مثل: «يا مرسل المراسيل»، «يا دارة دوري فيينا»، «على جسر اللوزية»، «كتينا وما كتبنا»، «جايسب لي سلام»، «ليلية بترجع يا ليل»، «يا كرم العلاي»، «أنا خوفي من عتم الليل»، «فايق يا هوى»، وغيرها هي من ألحان فيلمون وهبي، وإن كان الأخوين رحباي هما من كتب كلماتها أو كلمات معظمها.

في شهادة مؤثرة ومحمية ومنصفة في حق فيلمون وهبي المغبون، حين نسبت أجمل ألحانه، جهلاً، إلى الأخوين الرحباي، نستمع في بداية الفيلم إلى رسالة بصوت فiroز بمثابة تحية لفيلمون، وفيها تقول بلهجتها اللبنانيّة: «فيلمون شيخ الملحنين. بياخذ العقل، بحبّ شعره وتمثيله وشكله وقت اللي بيensi وهو يسمعني اللحن. أنا بعرف فيلمون اللي جوا كمان، حساس كثير، وحزنه هو اللي بيخلق ألحانه مش ضحكه».

حسب الباحث في الموسيقى والأغنية إلياس سحّاب فإن فيلمون وهبي ولّج عالم التلحين في نهاية الثلاثينيات وعقد الأربعينات وبداية الخمسينيات، فسبق زكي ناصيف وتوفيق البasha والأخوين رحباي. قبل أن يلحن لفiroز لحن لجاج سلام وصباح وغيرهما. لاحقاً توّطدت علاقته مع الأخوين رحباي وشارك في التمثيل في مسرحياتهما الغنائية بأدوار رئيسية، كونه ممثلاً كوميدياً مرحًا وخفيف الظل، وأخذ في تلحين بعض ما احتوته تلك المسرحيات من أغانيات لفiroز، هو القائل إن أجمل ألحانه والتي تعبر عن إحساسه خصّ بها فiroز، بفقطنته وحاسته الموسيقية أدرك فراده صوتها وشخصيتها، ورغم أن فيلمون لم يدرس «النوتا» الموسيقية، لكن عبقريته، وبالفطرة، صنعت ألحانه الجميلة، التي عليها يصح وصف «السهل الممتنع»، لتصنع أرقّ وأعذب الأغاني.

في ظروف الحرب الأهلية التي عصفت بيده لبنان، وجد «شيخ الملحنين» نفسه مضطراً إلى الرحيل عن ضياعه «كفرشيم» التي كان متعلقاً بها وبأهلها، وفيها تفتحت مواهبه في الموسيقى والتمثيل والغناء، وسبب له ذلك الكثير من الألم، قبل أن تسوء صحته، وكانت آخر أغنية لحنها لفيروز هي «يا ريت مِنْ مدِيْنَ إِيدِيْيِي وسِرْقَتَكِ / لَاْنَكِ إِنْ رَجَعْتَنِ إِيدِيْيِي وَتَرَكْتَكِ»، من كلمات جوزيف حرب، غنتها في عام 1985، لتغدو من أجمل أغانيها المتأخرة، وتنتهي بالبيت القائل «وَشُوْ قَالُوا يَا عَمَرْ حَلُوْ مَا دَقْتَكِ»، لتكون بمثابة تلوية الوداع من «شيخ الملحنين» لا لفيروز وحدها وإنما لكل محبيه.

madanbahrain@gmail.com

© حقوق النشر محفوظة "الصحيفة الخليجية" 2024